مغامرات «شلة» في رحلة صيد

بزغت شمس ذلك اليوم الذي كلما رأيت فيه شروق الشمس تلك تراودني المشاعر وتأسرني تلك الأحاسيس.

أتدري ما هو ذلك اليوم، إنه يوم شددنا أمتعتنا متوجهين إلى رحلة صيد، كان ذلك في عام ١٤١٧هـ عفواً لا تسبق الأحداث دع الرحلة تحكي لنا ماجرى.

كنت في قاعة الدراسة في الثالثة الثانوية فكتبت على غلاف الكتاب من داخله (يا روحي على الصمان) كان بجواري شخص لا أعرفه إلا معرفة دراسة قال لي: (ودك نخت يم الصمان هالسبوع) قلت: نحن ومن؟ فقال: فلان وفلان. ممن أعرفهم فقلت (قدام.. ما عند يشغل) بادرت قائلاً والسيارات ما هي؟ فقال: (جيبي الربع وجيب بندر VX.R) قلت: إذا علي جميع الأمتعة من خيمة و(ثاية) و .. فوجئت في تلك الفجرية وإذا بهم قد زادوا فلقد أتى معهم شخص لا أعرفه. تضايقت في داخلي لكني لم أبد أي تذمر، ولك أن تسأل ولم فأقول لأن «**الأرواح جنود مجندة فما تعرف منها ائتلف وما تناكر منهااختلف**» كانت تبدو على ذلك الشخص ملامح الجفاء والغلظة ولكن سوف يكشف السفر كل مكنون. لم نكن لنخاطر ونذهب في تلك الهواجر لولا أن أشخاصاً ذهبوا قبلنا بأسبوع وذكروا كثرة الصيد هناك.

وصل القوم إلى فيضة (رضيان) بعد الزوال وكانت (هبايب الريح) قد شمرت عن سواعدها.. يا الله كم هو محرق للوجه ومُدم للمقلتين تلك (الملافيح الحارة).. أخذ كل مكانة تحت السدر (العوشز) يراقب (طليحة الهواء) لكي يتسنى لنا الصيد (لعله كان في مطلع نجم) وسبحان الله سكن

الهواء في منتصف الظهر ورزقنا بصيد عظيم قد تستنكر (عقب هبة الهواء وفي الصمان)؟؟ فأقول: كان هناك (وايت) لسقي الغنم وأقبلت الطيور تشرب مما في الأحواض.

تجمعنا من غروب الشمس.. (انظر لقد عوضنا عن الصبح بما بعد العصر) وهنا تبدأ الغرابة بذلك الشخص الذي لا أعرفه كان أحد (العيال) معه (صويب) وأتى بها إلى هذا الشخص إنه يتلذذ بأكلها حية هي وريشها عندما أردنا أن (ننتف) الطيور كان يزعجنا بقوله (لاتدققون) بس الجنحان وخلوا الرأس أطعم للعشاء، وكان شخصاً مخيفاً. فقد آتاه الله بسطة في الجسم والنشاط وقوة الشهية وعدم استكراه أي شيء.

كنت أنظر إليه بتعجب واندهاش، لكن لا أبدي ذلك.. ووقع ما يقول فهو لا يرد الصيد إلا بريشه تناولت العشاء وأنا كاره جداً ثم توجهت إلى الفراش كان الجو حاراً فكنا نحرج في الليل من الفياض لكي ننام فوق الحزوم عن الحر والخشاش.

قبل الفجر بساعة قمنا وغسلنا الأواني التي تناولنا بها العشاء ولن نستطع غسلها من الإرهاق في الليل وتجهزنا ثم لما دخل الوقت وصلينا الفجر وشربنا القهوة و(الحليب) توجهنا والطيور في وكناتها نوقظها إلى الموت ولكن.. يا ترى لا نرى ولا (نقازة) لعله في الضحى؟؟ وأتى الضحى فقلت لعلّي لم أوفق والعيال قد وجدوا صيداً ولكن سبحان الله أقحلت الأشجار من الطبور.

أتى ذلك الشخص الذي للتوِّ عرفته فقال: هيا بنا إلى دحل (العجاجي) عفواً أيها القارئ (الدحل تجويفة أرضية غالباً ما تكون متصلة بالمياه الجوفية أو مجمعاً للسيول) كان هذا الشخص مستعداً للنزول فلقد أتى معه بحبل

(ليف) طوله أربعون متراً ونزل واضعاً وسط بطنه قطعة (لستك) لكي تشد على الوسط من غير أن تؤذيه ثم قال انزلوا لي (الشوزن) فأنزلناها بحبل ثم سمعنا دوي (أم خمس) وإذا به يقول ارفع فقلنا ماذا؟ قال (أخضاري) فرفعنا فإذا هي حية سوداء كبيرة (صل) وفعل مرة أخرى مثلها أخرج الأخرى.

كنت سوف أذهب أنا وبندر إلى الرفيعة (جرارة) لشراء بعض الأغراض فقال: لا تنسوا (الصامولي) للسندويش، قلنا: حسناً، لم نعلم لماذا؟

قام رفيقنا هذا (أعني صاحب الهوام) وأتى بمبشرة بطاطس وبشر جلد الحيات ثم أنزلها بعد التقطيع وقطع الرأس في القدر المضغوط (الكاتم) ووضع ماء وملحاً وليموناً ثم تركه على النار ساعة ونصف ثم أخرجها ووضع ماء جديداً وملحاً وبهارات ومعجون طماطم ثم أخرجها وإذا بنا قد أتينا من الرفيعة ومعنا الأغراض وأخذ الساندوتش ووضع في داخلها بطولها لحم تلك الحيات ولكل واحد (اثنين صامولي صل) فأقسم علينا أن نأكله فأكلنا على مضض فوجدناه لذيذاً فقال: هذه أكلتي المفضلة، (ولم نكن نعلم بأنه محرم). لكن الغريب كيف يستساغ أكله.

حدّث ولا غرابة عما رأيته من ذلك الشخص من غرابة فلقد كان يأكل الغربان ولا يكره أي شيء سألناه مرة ماذا تتمنى فقال : أتمنى أن أتلقي أنا والذئب لوحدنا فنرى من يظفر من الأخر فوالله لئن ظفرت به لأكلته حياً .. سبحان من أعطاه تلك العادات الغريبة؟!

ونسينا الصيد والطيور عندما رأينا أعماله الغريبة.

لا أشك أنك أيها القارئ الكريم قد ساورك شعور بالدهشة والاغتراب ولكني سوف أنقلك إلى مشهد آخر حينما وقفنا على أحد الدحول (وهي كما ذكرت آنفاً بعضها على شكل بئر، وبعضها كأنه مغارة).

عزم (صاحب الهوام) على الدخول فخوفناه بالله وأنه يرمي بنفسه إلى التهلكة، فقال: (بلا مذرق بس، ما قلت لكم ادخلوا..).

قام وربط ذلك الحبل على حصاة ثم دخل ومعه الحبل لكي لا يتيه في داخله أعطيناه الكشاف المضيء الذي يعرفه أصحاب الرحلات - وهو من النوع القوي جداً وماركته (MAG-LITE) وفي بداية الأمر كنا نسمع صوته ثم انقطع، لعله دخل في اتجاه آخر.

كان طول الحبل أربعين متراً فانتهى مما يحتم عليه الرجوع ولكننا تباطأناه، فقلنا: عله وجد الماء، وبدأنا (نصب أصوات) نناديه ولا يجيب فوالله لقد أيقنا أنه هلك.. ماذا تتصور أنه قد وجد؟؟

والله ثم والله لولا أننا رأينا هذا الشيء لما تطرق إلى أذهاننا تصديقه، لقد وجد جسماً غريباً أمامه ولكنه مدير ظهره ولا يستطيع أن يقابله وجهاً لوجه لأن المنفذ كان ضيقاً جداً لا يسمح بأن يستدير ذلك المخلوق فأمسك صاحبنا بذلك المخلوق من خلفه وشد عليه القبض كي لا ينفلت ومن ثم يقابله وجهاً لوجه فيأكله.

كان صديقنا هذا - كما أسلفت - قوياً جداً وشجاعاً ومحباً للمغامرات، لكنه يقول (والله لقد أيقنت بالهلاك وقلت: «ليتني طايعهم يوم يقولون لا تدخل» ولكن ليس هذا وقته.. فك روحك الآن).

يقول فأمسك به بقوة من الخلف وبدأت أحاول سحبه على الخلف ولكن يبدو أنه أقوى مني بمراحل .. وسبحان الله في تلك اللحظة أتتني قوة خارقة فسحبته إلى الخلف قليلاً حتى توسع المنفذ وبخطفه سريعة استدار بي هذا المخلوق وأنا محكم الشد عليه بيد - وسحبني معه، ومن رحمة الله أن الحبل لم يكن مربوطاً بجسمي فأطلقت الحبل و (جلعد بي) إلى ما لا أعلم وفجأة

وأنا ممسك بمؤخرته أبصرت نوراً أمامي وإذا بها فوهة الدحل فبدأت أصيح بأعلى صوتي: (أنطحوه أنطحوه..).

خرج بي إلى الخارج فأطلقت يدي منه، ووالله لم أستطيع أن أميز كنهه من سرعته فلقد دخل مع الفوهة الأخرى - فلقد كان قطر فوهة الدحل كبيراً جداً.

لا أعلم أهو (ضبع أن ذئب أم من أهل الأرض متصوراً بصورة حيوان).

لم أكن أعلم بما جرى لي من جروح من هول الموقف لفقد (تزلغ جلدي) من (الدوس والجلعدة معه).

أتى رفيقنا من الجهة الأخرى إلينا فانبهرنا من شكله وقلنا ما الذي جرى ونحن ممسكون بالحبل ننتظره فأخبرنا بما جرى..

الغريب أنه عزم على الدخول مرة أخرى بـ (الشوزن) لكي يرميه فوقفنا جميعاً في وجهه وقلنا نذهب بك إلى المستوصف لكي يضمدوا جراحك فوافق وذهبنا به، وكان ضائقاً صدره يتمني الدخول مرة أخرى لكي يقتل ذلك المخلوق ومما ثناه عن ذلك قولنا إنه من الجن وسوف يقتلك ولولا الإطالة لذكرت جوانب أخرى، وأستميحكم عذاراً عن الإطالة.

obeikandi.com